

الدرس السابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ صَلَّى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد:

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب الكبائر تحت قوله «باب ما جاء في الفتن» :
١٨٠ - ولهما عن حذيفة رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه قال: أيكم يحفظ قول النبي صلى الله عليه وسلم في الفتن؟ فقلت: أنا ، فقال: هات فإنك عليه لجريء ، فقلت سمعته يقول: ((فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر))، فقال: ليس هذا أريد إنما أريد التي توج كموج البحر ، فقلت: ما لك ولها يا أمير المؤمنين؟ إن بينك وبينها باباً مغلقاً، فقال: يفتح الباب أم يُكسر؟ قلت: بل يكسر، قال: ذلك أجدر أن لا يغلق، فقلت لحذيفة: أكان عمر يعلم من الباب؟ قال: نعم، كما يُعلم أن دون غد الليلة، إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط فهبنا أن نسأله من الباب، قلنا لمسروق: اسأله، فسأله فقال: عمر .

فلا نزال في «باب ما جاء في الفتن» أعاذنا الله والمسلمين من الفتن ما ظهر منها وما بطن.
قال رحمه الله تعالى: ولهما عن حذيفة رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه قال: «أيكم يحفظ قول النبي صَلَّى الله عليه وسلّم في الفتن؟» ؛ هذا الطلب من عمر رضي الله عنه لمن حضر عنده من الصحابة «أيكم يحفظ قول النبي صَلَّى الله عليه وسلّم في الفتن؟» يفيد: أن المسلم مطلوب منه أن يقف على هذه الأحاديث التي جاءت عن الرسول عليه الصلاة والسلام في الفتن؛ لأن الوقوف عليها والمعرفة بمضامينها يعين المسلم على اتّقاءها والبعد عنها، وقد قيل: «كيف يتقي من لا يدري ما يتقي»، فإذا وقف المسلم على الفتن وتحذير النبي صَلَّى الله عليه وسلّم منها، وتبينه عليه الصلاة والسلام لخطورتها، ومعرفة الفتن من حيث عواقبها الوخيمة وأضرارها الشديدة على من تصدر للفتن واستشرف لها، وأيضاً بالمقابل السعادة لمن وقاه الله سبحانه وتعالى الفتن، كما قال عليه الصلاة والسلام: ((إن السعيد لمن جُنب الفتن)) ؛ فالوقوف على هذه الأحاديث نافعٌ نفعاً عظيماً للمسلم ؛ ولهذا تجد أن بعض أئمة السلف أفردوا هذا الموضوع بالتصانيف، وعددٌ منهم ضمّنوا ذلك كتب الأحاديث الجامعة كالصحيح والسُنن ونحوها.

«فقلت: أنا ، فقال: هات فإنك عليه لجريء» ؛ وقول عمر لحذيفة: «إنك عليه لجريء» لما علمه ولما يعلمه من حاله رضي الله عنه من تتبّع لهذا الأمر وسؤال النبي صَلَّى الله عليه وسلّم عنه، وحذيفة هو القائل - كما في

الصَّحِيح - : « كان أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يسألونه عن الخير، وكنت أسأله عن الشرِّ مخافة أن يُدرَكني»، ولهذا قال له عمر: «فإنَّك عليه لجرىء» أي: بما آتاك الله عزَّ وجلَّ فيه من علم، وبما تيسَّر لك من سؤالاتٍ في هذا الموضوع للنَّبِيِّ الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

((فقلت سمعته يقول: فتنة الرَّجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصَّلَاة والصَّيَام والصَّدقة والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر)) ؛ «فتنة الرَّجل في أهله وولده وماله وجاره» أي: ما يكون بسبب تعلُّق وارتباط المسلم بهذه الأمور أو هؤلاء ربَّما دعاه للتَّقصير في بعض الواجبات، أو الإخلال ببعضها، كأن يلحقه شُحٌّ في المال، أو بخل، أو التَّهَاء بالأولاد وانشغال بهم، والله جلَّ وعلا قال: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التَّغَابُن: ١٥] ، فلا شكَّ أنَّ المرء يحصل له من ذلك مع الأهل أو المال أو الولد أو الجار ، فهذه الفتنة لها ما يكفرها ، قال: ((تكفرها الصَّلَاة والصَّيَام والصَّدقة والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر))، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنْ أَحْسَنَاتٍ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] ، والنَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسلَّم يقول: ((وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا)) ؛ فهذه الأعمال مكفِّرات ، الصلاة تكفر ، والصَّيَام يكفر ، والصدقة تكفر ، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر يكفر . وهذه فائدة عظيمة اشتمل عليها هذا الحديث: أنَّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر الَّذي هو الاحتساب في أمر النَّاس بالخير ونهيهم عن الشرِّ باب من أبواب تكفير الذُّنوب، وكما أنَّه صدقة ((وأمرٌ بمعروفٍ صدقة، ونهيٌ عن منكرٍ صدقة)) فهو أيضًا مكفِّر للذُّنوب.

«قال: فليس هذا أريد، إِنَّمَا أريد الَّتِي تَمُوج كَمُوجِ الْبَحْرِ» ؛ يعني: الفتن الَّتِي يترتَّب عليها مروج أمر النَّاس ونشوب الخلاف بينهم، وربَّما أيضًا القتال وإراقة الدِّماء ؛ فقال: أسألك عن هذا، أسأل عن الفتن الَّتِي تَمُوج كَمُوجِ الْبَحْرِ.

في رواية مسلم رحمه الله تعالى لهذا الحديث زاد أنَّ حذيفة قال: ((تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ)) والحصير: كما هو معلوم هو البساط الَّذِي يُصْنَعُ مِنَ الْخُوصِ، خوص جريد النَّخْلِ، وصُنِعَ هذا الحصير من خوص جريد النَّخْلِ هو بنظم هذا الخوص واحدة تلي الأخرى حتى يتكوَّن هذا الحصير . فذكر حذيفة عن النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: ((تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ)) أي: تُلصَقُ الْفِتْنُ بِالْقُلُوبِ فَتَنَّةٌ تَلُو الْأُخْرَى مثل ما يُنْظَمُ الْخُوصُ وَاحِدَةً تَلُو الْأُخْرَى حتى يتكوَّن الحصير، فتُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ عَوْدًا عَوْدًا، أي: فتنة فتنة. والقلوب كما سيأتي تجاه هذه الفتن على نوعين:

١ - فتنٌ تلتصق بالقلوب وتشرَّبها القلوب.

٢ - وفتنٌ يعافي الله سبحانه وتعالى القلوب منها ويسلِّمها منها.

قال: ((فأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نَكْتَةٌ سُودَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نَكْتَةٌ بَيضَاءٌ))، وهذا فيه تبيان لحال القلوب عند مجيء الفتن، وأنَّ القلوب تجاه الفتن على قلبين:

١ - قَلْبٌ يُشْرَبُ الْفِتْنِ، ومعنى «يُشْرَبُهَا»: أي يمتصُّ الفتن، وتصبح في القلب مثل حال الإسفنجة إذا وضعتُها على الماء كيف أمَّا تشرب الماء ويكون الماء في كلِّ أجزائها، فكذلك القلب عندما يُشْرَبُ الْفِتْنِ، أي: تكون الفتنة في كلِّ القلب.

٢ - والتَّوَعُّ الثَّانِي مِنَ الْقُلُوبِ: الْقَلْبُ الَّذِي يَنْكَرُ الْفِتْنَ؛ أي: يدفعها ولا يقبلها ويُعْرِضُ عنها، يُنْكِتُ فِيهِ نَكْتَةً بَيضَاءً.

((حَتَّى تَصِيرَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ)) وهذا القلب الذي مثل الصَّفَا، معلوم أنَّ الصَّفَا الملساء لا يلتصق فيها شيء، أَوَّلًا هِيَ رَاسِيَةٌ، وَالْإِيمَانُ لَهُ رَسَوٌّ وَرَسُوخٌ وَتَمَكُّنٌ فِي الْقَلْبِ، وَهِيَ صِفَاةٌ مِلْسَاءٌ لَا يَلْتَصِقُ فِيهَا شَيْءٌ، لَا يَلْعَلُ فِيهَا شَيْءٌ لِكُونِهَا مِلْسَاءً نَاعِمَةً. وَالْقَلْبُ الْآخَرُ قَالَ: ((وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مِرْبَادًا كَالْكُوزِ مَجْحِيًّا))؛ الْكُوزُ: أَيِ الْكُوبِ إِذَا كَانَ مَجْحِيًّا -أَيِ مَنْكُوسًا- هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَمْتَلِئَ مَاءً؟ لَا يُمْكِنُ، إِذَا كَانَ مَجْحِيًّا أَيِ مَنْكُوسًا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَمْتَلِئَ. كَالْكُوزِ مَجْحِيًّا يَصْبَحُ الْقَلْبُ أَسْوَدًا، وَشَأْنُهُ كَالْكُوزِ مَجْحِيًّا: أَيِ أُمُورِ الْخَيْرِ وَأَبْوَابِ الْخَيْرِ لَا تَجِدُ مَكَانًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ مُجْحِيٌّ مَنْكُوسٌ فَلَا يَقْبَلُ خَيْرًا. قَالَ: ((كَالْكُوزِ مَجْحِيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكَرُ مَنَكْرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ -أَيِ الْقَلْبِ- مِنْ هَوَاهُ)).

وَمِنْ لَطِيفِ الْمَعَانِي: مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ شَيْخِهِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ: أَنَّهُ نَصَحَهُ نَصِيحَةً، وَذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ أَنَّ اللَّهَ نَفَعَ بِهَا نَفْعًا عَظِيمًا، وَلَعَلَّهَا مُسْتَفَادَةٌ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ، قَالَ لَهُ: «اجْعَلْ قَلْبَكَ لِلشُّبْهَةِ كَالْمَرَاةِ، وَلَا تَجْعَلْهُ كَالْإِسْفَنْجَةِ»؛ اجْعَلْ قَلْبَكَ لِلشُّبْهَةِ كَالْمَرَاةِ؛ إِذَا وَرَدَتْ الشُّبْهَةُ وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْفِتَنِ وَدُّعَاةِ الْفِتَنِ، اجْعَلْ قَلْبَكَ كَالْمَرَاةِ، وَالْمَرَاةُ تَعْكَسُ الشَّيْءَ وَلَا يَدْخُلُ فِيهَا، أَمَّا الْإِسْفَنْجَةُ فَإِنَّهَا تَمْتَصُّ الشَّيْءَ وَتَشْرِبُهُ تَمَامًا، بِمَعْنَى: أَنَّ الْقَلْبَ إِذَا تَلَقَّفَ الْفِتْنَ وَهَوِيَّهَا وَأَقْبَلَ عَلَى سَمَاعِهَا وَأَخَذَ يُمْكِنُ لِدُخُولِهَا فِي الْقَلْبِ فَإِنَّ الْقَلْبَ يُشْرَبُهَا، أَمَّا إِذَا رَدَّهَا مُبَاشَرَةً وَأَعْرَضَ عَنْهَا مُبَاشَرَةً، إِنْ كَانَ مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ رَدَّهَا تَفْصِيلًا، وَإِنْ كَانَ لَيْسَ مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ رَدَّهَا إِجْمَالًا لِمُخَالَفَتِهَا لِمَا يَعْلَمُهُ مِنْ دِينِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ وَجُوبِ اجْتِنَابِ الْفِتَنِ وَالْبُعْدِ عَنْهَا، لَكِنْ لَا يُعْطِي الْفِتْنَةَ فُرْصَةً أَنْ تُشْرَبَ فِي الْقَلْبِ وَأَنْ تَتَمَكَّنَ. وَلِهَذَا تَجِدُ مِنَ الْمَصَائِبِ الْوَاقِعَةِ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ جَاهِلٌ بِدِينِ اللَّهِ تَمَامًا وَيَفْتَحُ أُذُنَيْهِ لِكُلِّ مُتَحَدِّثٍ بِمَا يَقُولُ، وَتَجِدُهُ عِبْرَ الْمَوَاقِعِ الْآنَ وَالْقَنُوتِ يَسْتَمِعُ لِكُلِّ أَحَدٍ، أَيُّ قَلْبٍ هَذَا سَيَكُونُ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ!! سَمَاعٌ لِلْفِتَنِ مُتَلَقِّفٌ لَهَا، لَمْ يَخْصُ سَمَاعَهُ فِي أُمُورِ الْعِلْمِ وَالِدِّينِ بِأَكَابِرِ أَهْلِ الْعِلْمِ النَّقَّاتِ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ بِدِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَكَمْ تُمَرِّضُ مِثْلَ هَذِهِ الْقُلُوبِ وَيَصِيبُهَا مَا يَصِيبُهَا مِنَ الْفِتَنِ.

هَذِهِ الزِّيَادَةُ جَاءَتْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ حَدِيثٌ حَذِيفَةٌ، فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ.

قال عمر: «ليس هذا الذي أريد، إنما أريد التي تموج كموج البحر. فقلت: ما لك ولها يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً» ؛ قد تقدّم معنا في الحديث قول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وإنَّ أُمّتكم هذه جُعِلَ عافيتها في أوّلها، وسيصيب آخرها أمورٌ تنكرونها))، «جُعِلَ عافيتها في أوّلها» هذا المعنى ذكره حذيفة هنا بقوله: «ما لك ولها يا أمير المؤمنين» أي: أنت في عافية منها، أي: زمانك زمان عافية من الفتن، من أين جاء بذلك حذيفة؟ بما كان يسمعه من النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما كان أيضاً يتابع في سؤالات النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذا الموضوع، ومَرَّ معنا كلمته: «كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ؛ مخافة أن يدركني».

فقال: «ما لك ولها يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً» ؛ يعني: زمنك زمن عافية من هذه الفتن التي تموج كموج البحر، هذه لا وجود لها في زمانك أنت في عافية منها، ما لك ولها؟!

لما ذكر الباب المغلق ، قال «باباً مغلقاً» سأل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه هذا السؤال قال: «يُفْتَحُ الباب أم يُكْسَرُ؟»؛ لأنّ بدء الفتن يزوال هذا الباب، انفتاح هذا الباب، هذا الباب المغلق إذا فُتِح بدأت الفتن، فسأل سؤالاً عجيباً رضي الله عنه وأرضاه قال: «يُفْتَحُ الباب أم يُكْسَرُ؟»
«قال: بل يُكْسَرُ» لا يُفْتَحُ فتحاً، وإنما يُكْسَرُ كسراً، قال: بل يُكْسَرُ.

قال عمر: «ذلك أجدر ألا يُغْلَقَ»؛ لأنه لو كان يُفْتَحُ يمكن يأتي شخص ويغلقه، لكن إذا كُسِر الباب كسراً قال: «ذلك أجدر ألا يُغْلَقَ».

«فقلت لحذيفة - أي الراوي عنه-: أكان عمر يعلم من الباب؟ قال: نعم، كما يُعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدِ اللَّيْلَةِ»، وهذا أمر كلّ أحد يعلمه، يعني: أمر معلوم بالبدية.

«إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ» إِنِّي حَدَّثْتُهُ أَي: حَدَّثْتُ عَمْرٍَ حَدِيثٌ لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ، وَإِنَّمَا حَدِيثٌ مُتَّبَعٌ مِنْهُ أَقْبَلَهُ عَنِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ، وَالْأَغَالِيطُ: هِيَ الْأُمُورُ وَالْأَقْوَالُ الَّتِي يَلْقِيهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ جُزْأً هَكَذَا بَلَا مُسْتَنْدَ وَلَا بَرَهَانَ وَلَا حُجَّةَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَلَا كَلَامِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَإِنَّمَا يَلْقِيهَا جُزْأً أَوْ تَخْمِينًا أَوْ ظَنًّا ، وَمَا أَكْثَرَ ذَلِكَ عِنْدَ النَّاسِ.

وهذا ملحظ مهم: أَنَّ كَثِيرًا مِنَ أَحَادِيثِ النَّاسِ فِي الْفِتَنِ قَائِمَةٌ عَلَى الْأَغَالِيطِ، تَخْمِينَاتٌ وَظُنُونٌ وَتَوَقُّعَاتٌ، وَإِنِّبَى عَلَى دَلِيلٍ لَا يَكُونُ عِلْمًا بِالذَّلِيلِ مِنْ حَيْثُ الصِّحَّةِ وَالضَّعْفِ، وَإِنْ عَلِمَهُ مِنْ حَيْثُ الصِّحَّةِ لَا يَكُونُ ضَابِطًا لِلْحَدِيثِ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى وَالْمَفْهُومِ، أَوْ مِنْ حَيْثُ أَيْضًا تَنْزِيلُ أَحَادِيثِ الْفِتَنِ عَلَى وَقَائِعٍ مَعَيَّنَةٍ بِالتَّكْلُفِ. فَكَثِيرٌ مِنَ أَحَادِيثِ النَّاسِ فِي الْفِتَنِ قَائِمَةٌ عَلَى الْأَغَالِيطِ ، وَالنُّفُوسُ تَعْشَقُ وَتَرْغَبُ فِي اسْتِكْشَافِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَمَنْ يَجِدُّهُمْ بِالتَّوَقُّعَاتِ، الْأُسْبُوعُ الْقَادِمُ كَذَا، النُّفُوسُ تَعْشَقُ ذَلِكَ، لَكِنْ هَذِهِ الرِّغْبَةُ فِي مَعْرِفَةِ الْأَمْرِ الْمُسْتَقْبَلِ لَا يَجُوزُ أَنْ تَجْعَلَ

الإنسان يدخل في الأغاليط والتكهنات والرجم بالغيب بالدعاوى الزائفة والتقوليات بلا علم ؛ هذا كله من التجني، الرغبة شيء والأغاليط أيضاً شيء آخر خطير جداً.

هذا ملحظ حقيقة جميل من حذيفة؛ كثير من أحاديث الناس في الفتن قائمة على الأغاليط ، ولهذا يجب على الإنسان أن ينتبه لهذا الأمر ، أن يحذر من الأغاليط ؛ لا سماعاً لها، ولا ابتداءً بالتحدث بها، ولا أيضاً نقلاً لها في المجالس ؛ لأنّ بعض الناس ينقل الأغاليط في المجالس ويصبح شأنه مع الأغاليط كالمذيع، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لما ذكر الفتن قال: «إنّ من ورائكم فتناً متطاولَةً رُدْحًا» يعني: فتناً ثقيلة «فلا تكونوا مذاييع بُذُرًا» بُذُرًا: أي: بذرة للفتن، مذاييع: أي نقلة لهذه الأغاليط التي تكون في الفتن. فما أكثرها! ما أكثر الأغاليط في الفتن! وزماننا هذا زمان انفتح على الناس من وسائل الاتصال ونقل المعلومة ما لم يكن في زمنٍ سابق ، تجد مسألة الأغاليط، يجلس أحد الأشخاص من وراء جهاز الحاسب عنده ويكتب ما شاء من التخمينات والتوقعات والأغاليط الكثيرات ثمّ يدخلها على الناس، من؟ أبو فلان، لا يُدرى من هو ولا صدقه ولا أمانته ولا ديانته، ويدخلها، ثمّ يبدأ الناس في تناقلها ، مذاييع وبذرة للفتن، لا يتحرّون ولا ينظرون هل هذه الأشياء صحيحة؟ هل هي حق؟ هل ينفع -إن كانت حق- نقلها للناس؟ ولهذا كم يحصل في الناس من فتن وبلاء وشرّ بسبب مثل هذه الأغاليط!

قال: «إني حدّثته حديثاً ليس بالأغاليط. فهبنا أن نسأله من الباب؟» أي: من كانوا عند حذيفة هابوا أن يسألوه رضي الله عنه من الباب؟

«فقلنا لمسروق أسأله. فسأله فقال: عمر» ؛ ومعنى ذلك: أنّ قتل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وأرضاه هو كسرٌ لهذا الباب، الباب مُعلّق دون الفتن، فإذا كُسِر هذا الباب بدأت الفتن.

وهذا أيضاً ممّا بيّن مكانة عمر رضي الله عنه ومنزلته العلية ، وأنّه بموته تبدأ الفتن . وموت عمر رضي الله عنه وأرضاه كان على يدٍ مجوسية؛ لأنّ قاتله رجلٌ مجوسي كان في المدينة يصنع الأرحاء، والأرحاء: جمع رحي معروفة، وكان غلاماً للمغيرة بن شعبة، فصنع لنفسه خنجرًا له جهتان، يضرب به من الجهتين، وسمّه، وأتى في صلاة الفجر ووقف خلف عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في المسجد، وكان من عادة عمر رضي الله عنه أن يلتفت على الناس ويقول: أقيموا صفوفكم ثمّ إذا رأى الصُّفوف منتظمة كبر، فلمّا قال ذلك وكبر تكبيرة الإحرام تقدّم هذا المجوسي وطعن عمر رضي الله عنه طعنةً في كتفه، وأخرى في خاصرته بهذا الخنجر المسموم، وسقط عمر رضي الله عنه، واضطرب المسجد وتلاحق الناس للقبض على هذا الرجل، فطعن بخنجره ثلاثة عشرة من المصلّين، قد يكون منهم من ليس صحابي، فطعن ثلاثة عشر مات منهم سبعة، وألقى عليه رجل لحافاً حتى يُتّقى ما معه من خنجر، فلمّا تيقّن أنّهم سيقبضون عليه طعن نفسه بالخنجر وهلك في مكانه. انشغل الناس بنقل عمر رضي الله عنه حتى أسفر الصُّبح فأخذ ينادي عبد الرحمن بن عوف: «الصلاة الصلاة»، فاجتمع الناس وصلّى بهم عبد الرحمن بن

عوف صلاة الفجر بأقصر سورتين من القرآن ثم سَلَّمَ وانطلقوا لمتابعة أمر عمر رضي الله عنه. وجاء في بعض الروايات أنَّ عمر كان يُغْمى عليه ويفيق ويقول: «أصلَّى النَّاسُ؟» فانظر في مثل هذه الحال حفاظ الصَّحابة رضي الله عنهم على الصَّلَاة وعنايتهم بها، ولم يخرج وقتها مع شدَّة الأمر الذي حصل والكرْب الذي وقع، كَرَب عظيم أمر ليس بالهَيِّن ومع ذلك الصَّلَاة أُدِّيَتْ في وقتها، وعمر رضي الله عنه وهو على تلك الحال كان يتابعهم في أمر الصَّلَاة ويقول كلِّما أفاق رضي الله عنه وأرضاه: «أصلَّى النَّاسُ؟».

كان الصَّحابة يدخلون على عمر رضي الله عنه تباعاً، مجموعة تلو الأخرى يهنئونه، يدعون له، يذكرون من الشَّاء عليه ومكانته العظيمة، وينصرفون، وهكذا، يأتي قوم ويذهب آخرون، فكان رضي الله عنه يقول مع مكانته العليَّة وما آتاه الله عزَّ وجل من دين وإيمان ونصرة وصحبة رضي الله عنه وأرضاه كان يقول -لما يسمع هذا الشَّاء من النَّاس-: «وددت لو أنَّ الأمر كفافاً لا لي ولا عليّ»، وهذا هو شأن المؤمنين الكُمَّل، يَمَنُّ الله عليهم بالأعمال الجليلة العظيمة الكبيرة ويرى نفسه في غاية التقصير والخوف، والله يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ

أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠] أي: خائفة أن تُرَدَّ عليهم أعمالهم. يقول ذلك وهو مَن هو!! وهو المبشَّر بالجنة رضي الله عنه، بشَّره النَّبيُّ عليه الصَّلَاة والسَّلَام بالجنة ويقول: «وددت لو أنَّ الأمر كفافاً لا لي ولا عليّ». وكان لابن عبَّاس رضي الله عنه مكانة عند عمر، فلَمَّا قال هذه الكلمة عمر رضي الله عنه: «وددت لو أنَّ الأمر كفافاً لا لي ولا عليّ» تكَلَّمَ عبد الله بن عبَّاس وكان عند رأس عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه فقال: «لا والله، لا تخرج منها كفافاً، لقد صحبت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم، فصحبته وهو عنك راضٍ بخير ما صحبه صاحب، كنت له، وكنت له، وكنت له... -يعدِّد من مناقب عمر وأعماله الجليلة رضي الله عنه- حتى قُبِضَ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وهو عنك راضٍ، ثمَّ صحبت خليفة رسول الله رضي الله عنه أبو بكر فكنت تنقِذ أمره، وكنت له وكنت له... -أي يعدِّد من مناقبه وأعماله الجليلة في خلافة أبي بكر- ثمَّ وليتها يا أمير المؤمنين أنت، فوليتها بخير ما وليها وال، وكنت تفعل وكنت تفعل»، يعدِّد من أعماله إِبَّانَ خلافته رضي الله عنه وأرضاه، فكان عمر يستريح إلى حديث ابن عبَّاس وله مكانة في قلبه، فقال عمر: «كَرَّرَ عليَّ حديثك»، فكَرَّرَ عليه الحديث أعاده عليه، فقال عمر: «أما والله على ما تقول» يعني: على هذا الكلام الذي سمعته منك «أما والله على ما تقول لو أنَّ لي طلاع الأرض» كلَّ ما طلع على الأرض «لو أنَّ لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به اليوم من هؤل المطلع».

فالشَّاهد: أنَّ هذا الكسر لهذا الباب الذي هو عمر رضي الله عنه وأرضاه هو بدء الفتنة، ومَرَّ معنا في الحديث المتقدِّم أنَّ النَّبيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّم أخبر أنَّ الأمور بعد ذلك تجيء الفتن، فتنٌ يَرَقُّ بعضها بعضاً بمعنى أنَّ الفتن تكبر وتَعْظُم وتزيد. هذا كلُّه عِلْم المرء به يستوجب أن يكون في غاية الحذر من الفتن، وعدم الاستشراف لها، وأن

يكون بعيداً عنها؛ لأنَّ السَّعادة في البُعد عن الفتن، وأن يكون كثير الاستعاذة بالله، وقد جاء في الصَّحيح أنَّ النَّبيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((تعوّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن))، والفتن شرٌّ عظيم على الأُمَّة، يضيع فيها أمن النَّاس، ولا تأمن سُبُلهم، ولا يأمنون على أعراضهم وأموالهم، فيها تُراق الدِّماء، فيها تحصل الشُّرور العظيمة؛ ولهذا يجب على المسلم أن يستعيذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن لا يستشرف لها، وأن لا يشارك في شيء منها لا بكلام ولا بفعل ولا بغير ذلك من الأمور.

قال رحمه الله تعالى :

١٨١ - ولمسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعاً: ((إنها ستكون فتن ، ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه)). فقال رجل: يا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: ((يَعْمَدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ ثُمَّ لَيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ؟ قالها ثلاث)). قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَيْنِ أَوْ إِحْدَى الْفَتْنَيْنِ فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلْنِي؟ قَالَ: ((يَبُوءُ بِأَمْنِهِ وَإِثْمِكَ وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)).

قال: ولمسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعاً: ((إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي...)) إلخ ؛ هذا إخبار من النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وسلَّم بأمرٍ كتبه الله وقدره ، أنَّ الفتن ستكون ستقع. فهذا إخبار عن أمر كوني قدري قضاءه الله سبحانه وتعالى وقدره في أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ وأُتَمَّا ستقع، وهو يتضمَّن التحذير، إخبار عن أمر كوني قدري، وهذا الإخبار يتضمَّن التحذير ، وكثيراً ما يأتي مثل هذا في أحاديثه عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، مثل قوله: ((إنَّه مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَنَسِيَ اخْتِلافًا كَثِيرًا)) أي: يحذِّرنا من أن نكون من أهل هذا الاختلاف والشِّقاق، مثل قوله: ((لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا شَبْرًا ذِرَاعًا ذِرَاعًا)). هذا كلُّه إخبار عن أمور ستقع في الأُمَّة يخبر عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ محذِّراً ، وأنَّ الواجب على المسلم أن يتَّقِيَ هذه الأمور ، وأن يجاهد نفسه على البُعد عنها.

((ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من السَّاعي إليها)) بمعنى: أنَّ الواجب على المسلم إذا وقعت الفتنة أن يكون بعيداً عنها أكبر قدر يكون ؛ لأنَّ القاعد أبعد عن الفتنة من الماشي، والماشي أبعد عن الفتنة من السَّاعي يلهث وراء الفتن ويتَّبِعُها في زواياها وفي أمكنتها وفي جحورها، فكلما كان المرء بعيد عن الفتن كان ذلك أسلم لدينه وأخير له عند ربِّه سبحانه وتعالى.

((ألا ثم ستكون فتنة القاعد فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، ألا فإذا نزلت أو وقعت))
«ألا»: أداة تحذير. ((إذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه))
يذهب إلى المرعى بإبله وغنمه ويشغل بها بعيد عن الفتن والدخول فيها.

((ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه))؛ أرض: أي فيها زراعة نخل وزرع، يشغل بزراعته ولا يبحث عن هذه الفتن ولا ينظر فيها، وإنما يشغل بأعماله، أعمال الزراعة؛ من حفر، وبذر، وسقي... وغير ذلك.
«فقال رجل» وهذا من حرص الصحابة رضي الله عنهم على الخير، لما ذكر هذه المخارج للسلامة من الفتن، الذي عنده غنم، والذي عنده إبل، والذي عنده أرض، «قال رجل: أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم، ولا أرض؟» الذي له إبل يذهب إليها وينشغل بها، والذي له غنم يذهب إلى غنمه، والذي له أرض زراعية يذهب إليها، ومن لم يكن له شيء من هذا كيف يفعل يا رسول الله؟ هذا من حرص الصحابة رضي الله عنهم على السلامة والعافية.

قال: ((يعمد إلى سيفه، فيدقُّ على حدِّه بحجر)) لأنه طالما أن السيف باليد والفتنة قائمة، الشيطان مع الإنسان يثيره ويدفعه ويهيجّه، لكن قال: ((فيدقُّ على حدِّه بحجر، ثم لينج إن استطاع))؛ وهذا يدل أن الفتن أمرها ليس بالهين في جذب النفوس والقلوب، وجَرَّ النَّاسَ إِلَيْهَا.

((ثم لينجو إن استطاع النجاء)) بمعنى: أن الأمر فعلاً خطير وجاذب للناس، ((لينج إن استطاع النجاة)).
((ثم قال: اللهم هل بلغت. قالها ثلاثاً)) صلوات الله وسلامه عليه. وهذا من عظيم نصحه لأُمَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

((فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن أكرهت؟ حتى يُنْطَلَقَ بي إلى أحد الصَّفِّين)) والصفان في الفتن كلُّها صفوف مسلمين، هذا مسلم وهذا مسلم، صفان من المسلمين يلتقون ثم يوجّهون لبعضهم السيوف والقذائف... وهنا يُقْتَلُ مَنْ يُقْتَلُ من المسلمين، وهنا أيضاً يُقْتَلُ مَنْ يُقْتَلُ من المسلمين، وهذا فيه من الضعف في المسلمين ما فيه، وفيه أيضاً من فتح باب لتسلط الكفار على أهل الإسلام، ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

قال: ((حتى يُنْطَلَقَ بي إلى أحد الصَّفِّين، فيضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني)) يعني: لا رغبة لي وإنما أكرهت ووُضِعَتْ في الصَّفِّين، وجاء سهم وضربني، أو شخص بسيفه وقتلني؟

قال: ((يبوء بإثمك وإثمك فيكون من أصحاب النار)) المهم لا تشارك في الفتن، حتى لو جيء بك في ساحة القتال وأكرهت لا تشارك. وكما سيأتي معنا في الحديث الذي بعده ((كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل)).

قال رحمه الله تعالى :

١٨٢ - ولأبي داود عن سعد رضي الله عنه: قلت يا رسول الله أرأيت إن دخل علي بيتي وبسط إلي يده ليقتلني؟ فقال: ((كن كخير ابني آدم)) وتلا هذه الآية: ﴿لَنْ بَسَطَ إِلَيَّ يَدُكَ لَتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨] .

قال: ولأبي داود -أي: في كتاب الفتن من سننه- عن سعد رضي الله عنه قلت: «يا رسول الله أرأيت إن دخل علي بيتي، وبسط إلي يده ليقتلني» ؛ والمراد في هذا الدُّخُول: أي في وقت الفتنة، عندما يموج ويمرج أمر الناس.

فقال: ((كن كخير ابني آدم))، وتلا هذه الآية: ﴿لَنْ بَسَطَ إِلَيَّ يَدُكَ لَتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨] ؛ وهذا فيه وجوب صبر الإنسان في الفتن، وأنَّ الإنسان ينبغي أن يصبر ، بخلاف قتال الكفار، لو كان الذي دخل كافر ومعتدي على الإنسان في دينه يجب عليه أن يُقاتله، لكن إذا كان قتال فتنة لا يجعل لنفسه يد في قتال الفتنة كما وجَّه إلى ذلك الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه . قال: ((كن كخير ابني آدم))، وفي بعض الأحاديث قال: ((كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل)). وسيأتي عند المؤلف رحمه الله تعالى بابٌ متَّصل بهذا الباب ، لأنَّ الفتن إذا وُجِدَتْ ترتَّب عليها إراقة الدماء، والتَّعدِّي على الأنفس، ولهذا عقد رحمه الله تعالى تلو هذا الباب بابًا عظيمًا جدًّا عنوانه: «بابٌ تعظيم قتل النَّفس الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» وضمَّنه من النُّصوص والأدلة شيء عظيم نافع.

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.